جامعة محمد خيضر - بسكرة -

كلية الحقوق و العلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

محاضرات في مقياس : الوظيفة الدبلوماسية

المستوى : أولى ماستر / تخصص : علاقات دولية

الأستاذة : د/حنان بن عبد الرزاق

مقياس سداسي (مزدوج / محاضرتين في الأسبوع)

محاور مقياس : الوظيفة الدبلوماسية

المحور الأول : الدبلوماسية : ضبط مفاهيمي(أنجز حضوريا)

2 – نشأة و تطور الدبلوماسية

الدبلوماسية في الحضارات القديمة

الدبلوماسية في الحضارات الشرقية القديمة:

إنّ دراسة تاريخ الدبلوماسية في ماضيها وتتبع المراحل المختلفة التي مرت بها في مجال العلاقات البشرية ومصائر الشعوب يمكن من خلاله معرفة مجريات السياسة الدولية في الماضي واتجاهها ودوافع الحرب عن طريق المفاوضات والمعاهدات التي تنظم المجتمعات.

الدبلوماسية البدائية القبلية :

يقول "نيوملن"إن تاريخ القبائل البدائية والجماعات البشرية الأولى قد عرفت الحرب والسلم وإجراء الصلح ، ومراسيم الاحتفالات الدينية والسياسية والاتصالات التجارية وهذه الجماعات كانت له مراسيم خاصة عند وفاة الزعيم وعند تولي زعيم جديد للسلطة.

دبلوماسية حضارة الفراعنة وبلاد الرافدين:

وكانت السلطة مركزة بشكل قوي لإدارة شؤون الحكم وكان الحاكم أو الملك يجسد الدولة فكانت الدبلوماسية والعلاقات الدولية تنفذ لخدمة السياسة الخارجية . من الأباطرة والملوك هم الذين كانوا يحددون أهداف السياسة الخارجية ، كما أن جميع المشكلات العامة والخاصة كانت تحل عادة بالحرب أو السلم ، ضمن اتفاق أو تعاهد يجري بعد التفاوض عن طريق مبعوثين أو رسل ، ومثالا على ذلك:

- ✓ مصر كانت تتبع قواعد تقوم على انتهاج سياسة خارجية قائمة على مبدأ توازن القوى وسياسة تقديم المعونات المالية والهدايا إلى الملوك المجاورين بالإضافة إلى المصاهرة والزواج.
- ✓ كما اكتشفت مجموعة من الرسائل الدبلوماسية بلغ عددها 360 لوحا من الصلصال وهي عبارة عن المراسلات الدبلوماسية المتبادلة بين فراعنة الأسرة الثامنة عشر التي حكمت مصر في القرنين الخامس عشر والرابع عشر وملوك بابل والحيثيين وسوريا وفلسطين معظمها كان مكتبا باللغة البابلية لغة العصر الدبلوماسية.

ولعل أبرز هذه المعاهدات نجد معاهدة "قادش" بين مصر الفرعونية بزعامة " رمسيس الثاني" ودولة الحيثيين " دولة وسط آسيا" آنذاك بزعامة " خاتسير" بعد حرب بين الدولتين دامت حوالي عشرين عاما سنة 1279 ق.م وتتكون من ديباجة وتسعة عشرة مادة وخاتمة.

وأهم مبادئ هذه المعاهدة :

- ➢ أهمية المبعوثين والرسل والاعتراف بمركزهم في تحقيق السياسة الخارجية .
- ➢ التأكيد على إقامة علاقات ودية وإشاعة السلام القائم على ضمان حرمة أراضي الدولتين وتحديد التحالف والدفاع المشترك.
- ➢ مبدأ رعاية الآلهة للعهد كقسم وتحريم النكث بالعهد.
- ➢ مبدأ تسليم المجرمين والعفو عنهم إنما دون تمييز بين المجرم العادي والمجرم السياسي.

دبلوماسية الحضارة الصينية والهندية:

الدبلوماسية في الصين القديمة ، اتبعت قواعد ومبادئ ارتبطت بنظرتهم الفلسفية وأسبغت عليها من القدسية النابعة من الديانة البوذية و البراهمية ، دعا **"كونفوشيوس"** الفيلسوف في القرن السادس قبل الميلاد إلى اختيار مبعوثين دبلوماسيين يتحلون بالفضيلة ويختارون بناء على الكفاية وذلك ليتمثل دولهم في الخارج سواء على المستوى الدولي أم جماعة الدول.

وفضل الفيلسوف " **كوانج شينغ"** اللجوء إلى السلمية على الوسائل الحربية ودعا إلى أن تخصص الدول ثلثي ميزانيتها للإنفاق على الاتصالات والبعثات الدبلوماسية واتبعت قواعد الأسبقية ومراسم الاستقبال واستقصاء مبعوثيها للمعلومات بشكل سري.

أما الدبلوماسية في الهند القديمة فيمكن الرجوع إليها من خلال كتب الهنود المقدسة خاصة **"الفيدا"** وقانون " **المانو"** الذي يتضمن بعض القواعد الخاصة بالسياسة الخارجية

والسفراء وشؤون الحكم وهذه القواعد عن العلاقات الدبلوماسية في حضارة الشرق القديم أهمها:

❖ في اختيار السفراء وصفاتهم:

يجب على السفراء أن يلموا بكل القواعد الدينية التي تقدم الكثير من المعلومات للسفراء بشأن التجسس والقضايا النفسية ومسألة النسب إلى جانب الاستقامة والمعرفة التاريخية والجغرافية والتمتع بالشجاعة والفصاحة.

❖ مهام السفراء:

تقوم العلاقات الخارجية على عاتق السفير حتى أن الحرب اعتبرت المهمة الأولى للدبلوماسية وعول عليها أكثر في السلم ففي المادة65 من قانون "مانو" : إن الحرب والسلام يعتمدان على السفير ، وتقول المادة 66 من قانون " مانو" : السفير هو الذي يقرب بين الأعداء ويوقع بين الحلفاء.

الدبلوماسية في الحضارات الغربية القديمة:

ازدهرت الدبلوماسية في الحضارات الغربية القديمة خصوصا عند الإغريق الذين وضعوا أسسا جديدة في التعامل الدبلوماسي حيث اعتمدوا على التفاوض الدبلوماسي في جميع علاقاتهم الدولية وحتى الداخلية ، الشيء الذي ألقى بظلاله على كل من الحضارة الرومانية والبيزنطية.

الدبلوماسية في العهد اليوناني:

تميزت أساليب الدبلوماسية وممارستها في عهد اليونان بمراحل هي:

- مرحلة المنادين أو حملة الأعلام البيضاء: وقد أصبغت على هؤلاء سلطات شبه دينية ووضعوا تحت حماية الإله "هرمس" الذي يمثل السحر والحيلة والخداع ويقوم بدور الوسيط بين العالم العلوي والعالم السفلي حيث كان الدبلوماسي المنادي يستخدم كرسول لإعلان رغبة السيد أو الملك حول موضوع معين والتفاوض بشأن بعض الأمور.
- مرحلة الخطباء: وهي مستوى أعلى من مستوى المنادي وكان يتم اختيار المبعوثين من بين الخطباء والفلاسفة والحكماء وهي مرحلة الدبلوماسي الخطيب.

1- في زمن السلم قامت العلاقات الدبلوماسية على التعاهد والتحكيم وإيفاد الممثلين الدبلوماسيين فمثلا: " نصت المعاهدة المبرمة بين طيبة وأثينا على أن تقوم مدينة **لاميا** بدور الحاكم بينهما في حال نشأ خلاف حول تفسير المعاهدة .

2- في زمن الحرب خضعت العلاقات بين المدن اليونانية لقواعد خاصة هي :

- لا تبدأ الحرب إلا بعد الإعلان عنها ، والحرب هي لتسوية الخلافات الدولية وكان اليونان قبل الحرب يلجئون إلى المفاوضات الدبلوماسية الفردية وعقد المؤتمرات التي كان يطلق عليها " **الأمفكتونية"** .
- تكون حرمة المعابد والملاعب مصونة خاصة بعض المعابد التي تستخدم لحفظ الوثائق ومحفوظات الدول كمعبد "مترون".
- لا يعتدى على الجرحى والأسرى حيث حكموا على صورة الوحشية التي ترتكب بحق الجرحى والموتى في المعركة التي تكون بمثابة أمور بربرية.

الدبلوماسية في العهد الروماني

ورث الرومان عن الإغريق بعضا من التقاليد والقواعد الدبلوماسية ، وقد ولت العلاقات الدبلوماسية إلى مرحلة متقدمة من التطور والانتظام من خلال المؤتمرات والاتحادات التعاضدية وقد سار تطور العلاقات الدولية ضمن إطار الأهداف الخارجية لروما التي ارتكزت على مبدأ السيطرة وخضوع الشعوب الأخرى وكيفية استيعابها وانصهارها في البوتقة الرومانية.

لجأت روما إلى رفض فكرة المفاوضات والدخول في معاهدات وتحالفات مع غيرها من المدن ، والشعوب المغلوبة على أمرها ، وهذه المعاهدات أبقت لتلك المدن والشعوب نوعا من الحكم الذاتي وكان أفضل ما ابتدعته روما مبدأ سحق خصمها العنيد والصفح عمن يخضع لهم.

يمكن تلخيص آثار الفكر الروماني القانوني وغلبتها على الأسلوب الدبلوماسي في النقاط التالية وأهمها:

- ✓ عرف الرومان المعاهدات وصياغتها وأشكالها حيث أقروا مبدأ احترام العهود وقدسية المواثيق كأساس لاستقرار العلاقات الدولية.
- ✓ في العصر الأول لسيادة روما برزت العقلية القانونية من خلال تلاشي العادات الدينية وتلاشي القانون المقدس ومسألة القسم في تنفيذ المعاهدة أمام القانون للشعوب وأصبح بحكم علاقات روما تغير مواطنين من الشعوب الصديقة والأجانب المتحالفين معها.
- ✓ مع تطور الإمبراطورية الرومانية نشأ قانون الأجانب الذي يطبق على سكان الأقاليم المفتوحة حديثا من غير الأرقاء الذين لم يكتسبوا بعد حق المواطنة الرومانية.

ويقول " نيكولسون ": "إن نظام الرومان الدبلوماسي لم يكن يتسق مع الاعتراف بمبدأ المساواة القانونية ذات السيادة ".

وهكذا نلاحظ بأن مبدأ الرومان كان تفضيل استعمال القوة على استعمال الأساليب الدبلوماسية أي أنها كانت تمارس علاقة ذات صبغة استعمارية.

تميزت الممارسة والأسلوب الدبلوماسي الروماني بعدة خصائص تركزت في الأمور التالية:

- كان اهتمام الرومان يتركز على الشكل قبل المضمون في إجراءات عقد وتسجيل المعاهدات فمثلا انصرف اهتمام الرومان إلى النظر بصحة إعلان الحرب بالشروط المرسومة قبل بدئها وكذلك بما يتعلق بعقد الصلح طبقا لمراسيم معينة.
- كان مجلس الشيوخ الروماني هو الذي يدير الخارجية ثم أصبح الحق للأباطرة في تدبير هذه السياسة ولكن بعد استشارة هذا المجلس .
- كان مجلس الشيوخ يقوم بقبول سفراء الدول الأجنبية و الاستماع لمطالبهم وقبولها أو رفضها.
- في عصر الرومان أصبح تكوين البعثة الدبلوماسية بمثابة لجنة تمثل مجلس الشيوخ يتراوح عددها بين شخصين أو عشرة أشخاص وأن السفراء عادة من درجة الشيوخ أو من درجة الفرسان البارزين أو البعثات الدبلوماسية الهامة ، فكانت تتكون من عدد القناصل أو الفرسان يرأسهم أحد أعضاء ديوان الخارجية.
- عند عودة السفراء من مهمتهم يقدمون إلى مجلس الشيوخ تقريرا مفصلا يصوت عليه المجلس بالموافقة أو الرفض.
- كانت تجري مراسيم وإجراءات متعددة لاستقبال السفراء .
- عندما يقترف السفراء الأجانب عملا مخالفا للقانون يبعث بهم إلى دولهم لتقوم سلطاتهم بمحاكمتهم ومعاقبتهم .
- كان الممثلون الدبلوماسيون لدى روما يتمتعون بالحصانة الشخصية حتى وقت الحرب.

الدبلوماسية في العهد البيزنطي:

ابتكر البيزنطيون ثلاثة أساليب دبلوماسية رئيسية وهي:

- سياسة إضعاف الشعوب والقبائل البرابرة من خلال نشر التفرقة وإثارة التنافس بينهم وإيقاع الخصومات وذلك بهدف تقوية وحدتهم الداخلية.
- شراء صداقة الشعوب والقبائل المجاورة بطرق الرشوة والهدايا أي التملق والمساعدات المالية.

- إدخال أكبر عدد من ممكن في الديانة المسيحية كما حصل مع العرب في جنوب الجزيرة أيام دولة الحميريين اليهودية حيث قامت أول سفارة مسيحية في العصر الحميري في عدن سنة 365م وقد تم كل ذلك بمساعدة أبرهة نائب ملك الحبشة.

الدبلوماسية في العصور الوسطى

<u>تطور الدبلوماسية في الدولة العربية الإسلامية:</u>

كان العرب قبل الإسلام مجموعة من القبائل المتناثرة في الجزيرة العربية والعراق والشام . وكان الهم الرئيسي لهذه القبائل هو البحث عن الكلأ والمرعى والتجارة. حيث كانت قوافلها تجوب الصحراء وتقطعها متجهة نحو الفرس والروم.

ومن هنا جاءت ضرورة التواصل بين هذه القبائل وما يتطلبه ذلك من اتصالات وسفارات.

مرحلة النبي(ص) والخلفاء الراشدين:

جاء الإسلام، وبرز الدور المهم للدبلوماسية الجديدة حيث أسس العرب دولتهم الأولى في المدينة برئاسة النبي(ص). ومن ثم كان الانتشار في شرق الأرض وغربها ولم تعد علاقات العرب والمسلمين محصورة في علاقاتهم التجارية ، بل استخدمت الدبلوماسية في عصره (ص) والخلفاء الراشدين للدعوة للدين الجديد وعقد المعاهدات في السلم والحرب ، وقد أوفد النبي(ص) مبعوثيه (رسله) للاتصال بزعماء القبائل المجاورة أولا ، ومن ثم الملوك والأكاسرة والقياصرة، وذلك للتعريف بالإسلام . فأرسل مبعوثيه إلى كل من : النجاشي ملك الحبشة ، والمقوقس ملك مصر ، وهرقل إمبراطور الروم ، وكسرى ملك الفرس ، وأسقف نجران ، وزعماء يهود خيبر، وملوك عمان والبحرين واليمن. هذه الدفعة الأولى من المبعوثين الدبلوماسيين قاموا بدور التمثيل، أو ما يمكن تسميته " بعثات خاصة ".

كما احترمت حرمة المبعوثين الوافدين تماشيا مع ما أقره الرسول (ص) كقاعدة للحصانة الشخصية للمبعوث.

ومع استمرار الفتوحات الإسلامية مع الخلفاء الراشدين فقد حافظت الدبلوماسية (النبوية) على حضورها ، وقد أنشئ ديوان خاص زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لهذا الغرض.

الدبلوماسية من القرن الخامس عشر حتى مؤتمر فيينا 1815:

إن أهم ميزات هذه المرحلة هي تحويل الدبلوماسية من التنقل إلى الثبات، ويمكن تحديد هذا التحول في حوالي النصف الأول من القرن الخامس عشر . وقد نهضت الدبلوماسية في هذه المرحلة على أسس ومناهج مدرستين أدت دورا مهما في إرساء قواعد العمل والتمثيل الدبلوماسي.

الدبلوماسية عند المدرسة الإيطالية:

يذكر المؤرخون أن أول بعثة دائمة مؤرخة هي تلك التي أنشأها " فرانشسكو سفورزا " دوق ميلان في جنوا عام 1400 وبعد سنين قليلة أنشأت الدويلات الإيطالية سفارات دائمة لها في لندن ، وباريس في بلاط شارل الخامس .

لقد كانت البعثات الدبلوماسية في ذلك العهد ضرورية بالنسبة للجمهوريات التي تشكل منها إيطاليا ، وهي البندقية ، ميلانو، فلورنسا، نابولي ، ثم البابوية في روما.

لقد أسبغت البندقية على الفن الدبلوماسي قواعد حديثة، فمنذ القرن الثالث عشر ، أصدرت البندقية مجموعة من المراسيم والقوانين التي تضمنت القواعد التي يجب على كل ممثل دبلوماسي (خاصة السفير) ، في الخارج أن يتقيد بها ويحترمها نذكر منها:

- صدر عام 1481 قانون يحرم على السفراء أية مناقشة في المسائل السياسية مع غير الرسميين.
- صدر عام 1554 قانون يتعلق بحق اللجوء ويميز بين الجريمة العادية والجريمة ضد أمن الدولة.

الدبلوماسية عند المدرسة الفرنسية:

اهتم الفرنسيون اهتماما خاصا بثقافة الدبلوماسيين، ومن أجل ذلك تم تأسيس أول أكاديمية دبلوماسية كانت مهمتها تدريب الدبلوماسيين الفرنسيين، وتم إنشاؤها عام 1812.

حيث تم ترتيب تسلسل الدرجات الدبلوماسية في مؤتمر فيينا 1815 وتم الاتفاق على إيجاد قواعد ثابتة لترتيب الدبلوماسيين حسب الأقدمية كالآتي :

- السفراء وما يساويهم في المرتبة نفسها وكلاء البابا.
- درجة الوزراء.
- درجة القائمين بالأعمال أثناء التوقيع على المعاهدات.

خصائص الدبلوماسية في هاته الفترة:

اتسمت الدبلوماسية في هذه الفترة من تطوره بالخصائص التالية:

- ✓ نشطت المفاوضات الدبلوماسية في هذه الفترة بين الدول الأوربية نشاطا كبيرا، وعقدت الكثير من المعاهدات والبروتوكولات التي كان يصادق عليها موثقو البابا.
- ✓ تحولت الدبلوماسية في هذه الفترة من الدبلوماسية المؤقتة إلى الدبلوماسية الدائمة حيث شملت مختلف السفارات الأوربية.
- ✓ عرفت أغلب الدول الأوربية الحديثة في هذه الفترة تأسيس أجهزة متخصصة لإدارة سياستها الخارجية و تنفيذها.
- ✓ .

المراجع المعتمدة في بناء المحاضرة :

1 -علي حسين الشامي ؛ الدبلوماسية :نشأتها و تطورها و قواعدها و نظام الحصانات و الامتيازات الدبلوماسية . ط5 . عمان : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، 2011

2 - مصباح زايد عبد الله ؛ الدبلوماسية . بنغازي : دار الكتب الوطنية ، 1999 .

3-هاني الرضا ؛ العلاقات الدبلوماسية و القنصلية : تاريخها و قوانينها و أصولها. بيروت : دار المنهل اللبناني ، 2006 .

4 -فادي خليل ، تاريخ الدبلوماسية . دمشق : جامعة دمشق ، 2008.

5- منتصر سعيد حمودة ؛ قانون العلاقات الدبلوماسية و القنصلية .الإسكندرية: دار الفكر الجامعي ، 2002 ..

6 - علاء أبو عامر ؛ الوظيفة الدبلوماسية : نشأتها ، مؤسساتها قواعدها قوانينها . عمان : دار الشروق للنشر و التوزيع ، 2001 .